المواطنة
في ضوء متغيرات العولمة

إعداد

أ.د/ سمية عبد الحميد أحمد

أستاذ المناهج وطرق تدريس رياض الأطفال

كلية التربية – جامعة المنصورة

مقدمة

يواجه مجتمعنا تحديا فكريا وثقافيا هاماً وخطيراً ، إذ فتحت ثورة الاتصالات والمعلومات آفاقاً جديدة، وولدت أزمات عديدة على المستويات القومية مهما كانت قوة الوسائل الرقابية والحظرية الرسمية .

كما أن الاندماج العالمي بين جميع الثقافات لا يعنى فتح الفضاءات القومية بعضها ببعض من أجل إخصابها فحسب ، ولكنه يثير العديد من المشاكل والتحديات وفى مقدمتها مسألة الأساس الذي يمكن أن تستند إليه الثقافة القومية في إعادة إنتاج نفسها وتأكيد هويتها الوطنية والعربية. ولاشك أن ثقافتنا العربية تتعرض إلى عمليات ، وديناميكيات ومن أهم هذه الديناميكيات الهجوم المركز في السنوات الأخيرة على مكانة الثقافة العربية ، ومدى صلاحيتها للصمود و التصدي أو التفاعل مع متطلبات التنمية الحضارية .

وأكثر ما يوضح ذلك ما يظهر في حياتنا اليومية من استخدام كلمات ومصطلحات أجنبية تتداول وتخترق آذاننا في الشارع والمدرسة وأجهزة الإعلام والإعلانات التي تملأ الشوارع والأزقة كل هذا يعكس الغزو الثقافي التقليدي الذي يعنى وجود إرادة أجنبية لتدمير ثقافتنا الوطنية النامية أو إخضاعها للسيطرة الأجنبية أو تبديل منظومات القيم السائدة في مجتمعنا أو دفعه إلى تبنى قيم الثقافة الغربية والأمريكية على وجه التحديد . علاوة على بث قيم معينة تجافى قيم الدول التي تحاول بثها بين أفرادها عن طريق البرامج التربوية والمواد الإعلامية ، وما تبثه تلك الوسائل لإعداد الطفولة وتربيتها . وإزاء تدفق الرسائل الإعلامية بتلك الصورة عُدّ ذلك نذيراً بحدوث تحولات خطيرة في كيان المجتمعات ، وزلزلة لأركانها ، واستلابا لشخصية المجتمع القومية ، بما يعنى حدوث شرخ في البناء القومي ، وتفسخ اجتماعي ، وضياع لجهود مؤسسات الدولة في إعداد وتنمية الأطفال باعتبارهم ثروة بشرية يراد تنميتها.عن طريق إكسابهم سلوكيات المواطنة الصالحة لتنمية عاطفة المعايشة وروح الانتماء والولاء للوطن .

ويزيد من الخطر على الأطفال سيل الإعلام الوافد بقوة ، وقدرته في التأثير على الصغار ، حيث يؤثر على الشخصية القومية ، ومن ثم – فإن مصر ومعها الدول النامية مدعوة لاستنباط نماذج تقنية تتمشى مع أهدافها وغاياتها وتسمح لها بتلاقي القيم والقوالب الفلسفية التي تتسق عامة مع هذه التقنية .

إن التطور المتواصل بتقنية الإعلام ينبغي أن يستجيب للحاجة ، بدلا من أن يكون هدفا في حد ذاته ، كما يجب أن يوظف لصالح الأمة بأسرها ، لا أن يكون مقصوراً على الفرد لعزله عن مجتمعه ، ويصيبه بالاغتراب ، وذلك يجعل التأثير على الأطفال في تلك السن اليانعة ، وهم أقل قدرة على التمييز بين الخير والشر ، والفضيلة والرذيلة تأثيراً ضعيفاً، ويزيد الأمر سوءاً أنهم يشبون وهم متعلقون بنمط الثقافة الأجنبية ويصيبهم اليأس ، ويضيقون بثقافتهم القومية ، ويتطلعون إلى اليوم الذي يتمكنون فيه من الانخراط في الثقافة الأجنبية ؛ لوقوعهم تحت تأثيرها والانبهار بها، لذا لابد من تهيئة عقلية الطفل كي يكون قادراً على مواجهة الغزو الثقافي من خلال إكسابه سلوكيات المواطنة الصالحة .

ومما يزيد من مأساة الدول النامية والمستوردة لتكنولوجيا الإعلام " أنها ترى بعينها التدمير اليومي الشامل لثقافاتها القومية ، وتراثها الحضاري الذي يتحول إلى رموز محنطة في الماضي ، كما ترى الاختراق الثقافي المنظم في مرحلة الانتساب الطوعى التبعي للثقافة الاستهلاكية ، ومصادر انتهاكها المعادية للعرب والداعية المضللة ، والتي تدعو إلي التحلل من القيود الاجتماعية التي يراها الصغار عائقاً أمامهم ، حيث يرون ثقافتهم بمثابة قيداً يحول دون انخراطهم في الثقافة العالمية .

وبفعل الثقافات الوافدة تأثرت الروابط الأسرية فأصابها التفكك والوهن ، وأفلام العنف التي تهدر قيم التعاطف الإنساني وفقدان الإحساس بالغير ، وتحويل الناس والأطفال إلى نماذج استهلاكية . وظهر التناقض بين فكر أصيل موروث يهتز بمزاحمة غيره له ، وهو فكر الروح الإسلامية وقيمها ، وفكر دخيل يطرق أبواب نفوس أطفالنا في عنف ، وهو الفكر المادي الذاتي وإنكار القيم الروحية والتحلل مما هو ديني وأخلاقي بدعاوى شتى .

وأوضحت نتائج العديد من الدراسات أن ظاهرة العنف المدرسي وكانت نتيجة للبرامج الإعلانية في الفضائيات ، ومحاكاة الأطفال لهذه البرامج ، وتعلمهم نماذج سلوكية معادية للمجتمع من وسائل الإعلام ، وقيامهم بتقليد السلوك الإجرامي في الظروف التي تكون فيها المعايير الاجتماعية ضعيفه أو غير عادلة .

ويحذر الكثير من المفكرين والخبراء من خطورة المتغيرات الثقافية المصاحبة لظاهرة العولمة والتي تشوش على الفكر القيمى الموروث ، بغرض اقتلاعه من جذوره فقد استخدمت الدول الاستعمارية الوجه الآخر من العملة ، فهي تحاول أن تنشر نمطاً ثقافيا عالميا واحداً

بهدف انتزاع شعوب العالم الثالث من جذورها الثقافية فتصبح معلقة في الهواء غير قادرة على الرجوع إلى جذورها وغير قادرة على الاندماج في المجتمعات الغربية ومن ثم تصبح بلا هوية ثقافية معينة .

وفى هذا السياق فإن مؤسساتنا التعليمية والتربوية مطالبة اليوم قبل الغد ببنـــاء أجيـــال واعية تدرك الواقع الثقافي والاجتماعي و الفني ، تتميز بعقلية جديدة تتخطى المحلية وتتلاحم مع العالمية وتتعامل مع المتغيرات العالمية وتقاوم أساليب الهيمنة والسيطرة الأجنبية بأشكالها المختلفة .

وتجدر الإشارة أن التعليم عليه مسئولية حماية مجتمعنا من سيطرة التكنولوجيا المتقدمـــة على تراثنا وثقافتنا ، وهذه مشكلة يعانى منها المجتمع الغربي المعاصـــر؛ حيـــث المـــشكلات الاجتماعية والأسرية والأخلاقية كالتفكك الأسرى والانحلال الأخلاقي، وتفشى العنف والجريمـــة والإدمان وانتشار جماعات الشواذ وغير ذلك ، ولذا دعت الكثير من المؤتمرات الخاصة بالطفل بضرورة الاهتمام بتنمية سلوكيات المواطنة بأبعادها المختلفة

وأن مجمل التوصيات الصادرة عن هذه المؤتمرات عبارة عن ســـلوكيات تنـــدرج تحـــت سلوكيات المواطنة وبذلك أصبح تنمية سلوكيات المواطنة مطلب حيوي لا يمكن إغفاله .

وعلى الرغم من التغيرات الجديدة التي تفرضها العولمة في كافة المجالات ، إلا أن ذلك لم يمنع من اعتزازنا بجذورنا وتراثنا وثقافتنا وتاريخنا ، وغرس ذلك لدى أطفالنا وتحقيق التوازن بين ما تقدمه لنا التكنولوجيا المتطورة والانتفاع بتقنياتها و بين الانتماء والـــولاء لمجتمعنـــا وعاداته وتقاليده وقيمه وهو ما يجب أن تعكسه مؤسساتنا التعليمية والتربوية حماية لأطفالنـــا وقوتنا الذاتية وتجنبا للأخطار المستقبلية .

لذا أصبح من الضروري حماية الأطفال بالتصدي لهذه الظواهر ، والحد مـــن انتـــشارها، ووضع خطة طويلة الأمد تحمى أطفالنا من عبث تلك الثقافات ، وهنا يجب تصميم بـــرامج أو وحدات أنشطة مناسبة لتنمية سلوكيات المواطنة بحيث تسهم بشكل إيجابي في تلك العمليـــة ، وهذا الأمر يحتاج إلى إدراك تام للعلاقات بين المتغيرات الثقافية المصاحبة للعولمة وسلوكيات المواطنة .

في ضوء ما سبق ، نجد أن المشكلة بصورتها الحالية ليست رؤية ذاتية فقط ، بل دعمتها رؤى فكرية ، وأكدتها توصيات مؤتمرية ، وأبرزتها الدراسات العلمية ، وأظهرتها الملاحظـــة الواقعية لحالة المجتمعات العربية ، ففيما يتعلق بالرؤى الفكرية فإنها تكاد تتفق على ضرورة وضع برامج تربوية وعلمية للتعامل مع العولمة والتفاعل الإيجابي معها ، بدلا مـــن الانغـــلاق على الذات ، لنتمكن من حسن تجهيز الأبناء ، وتزويدهم بسلوكيات المواطنة الـــصالحة التـــي تهيئهم للتفاعل مع المعطيات العالمية الحديثة ، وذلك من خلال التعليم الذي هو بوابة الـــدخول

للمستقبل ، والذي من خلاله يمكن إحداث نوع من التكتل الثقافي والتربوي العربي يحفظ للعرب هويتهم ويجعلهم مساهمين في تعديل مسارات العولمة وتقويم توجهاتها ، من أجل مصلحة الطفل العربي المراد بناؤه ومصلحة المجتمع الذي يعيشون فيه .

وفيما يتعلق بالتوصيات الصادرة عن المؤتمرات والندوات العلمية فإنها في جملتها تؤكد على :-

تدريب الأطفال على أن يتخذوا قراراتهم بأنفسهم ، وعلى مواجهة المواقف المتغيرة بثبات، وأن يكون لديهم قدر كبير من التمكن ، وضرورة اهتمام الدول النامية بتضمين محتوى علمي يساهم في تنمية سلوكيات المواطنة لدى الأطفال منذ الصغر ، كما تحرص الدول المتقدمة على تنمية مفهوم المواطنة لدى أطفالها من خلال برامجها التعليمية . وإن اختلفت مسميات المحتوى العلمي المقدم من دولة لأخرى ففي هولندا يطلق على المحتوى التعليمي اسم " المعرفة حول المجتمع " ، وفى السويد " التعليم الأخلاقي " وفى الولايات المتحدة الأمريكية "التدريب للمواطنة"، وتفعيل دور المؤسسات التعليمية في التربية الوالدية داخل الأسرة لتوعيتهم بطرق التفاعل السليمة مع مفردات العولمة ومعطياتها المختلفة ، وطرق مواجهتها من خلال إكساب الأطفال سلوكيات المواطنة .

وفيما يتعلق بالدراسات العلمية وبحوثها فإنها قد اتخذت نفس النهج الذي يوضح المثالب التي أفرزتها ظاهرة العولمة التي تهدد الهوية الوطنية بالذوبان والتحلل تحت وطأة تلك الرسائل الإعلامية .

أما الملاحظة الواقعية فإنها تعكس عدداً من الحقائق التي تدعم المشكلة حيث تبين :

- ضعف سلوكيات المواطنة نتيجة الحاجز الذي يفرض بين الأطفال وإدراكهم لواقعهم كما هو .
- تهميش دور الأطفال في العملية التعليمية .
- المعلمات لا يهتممن بتوضيح مفاهيم المواطنة بتركيزهم على تمجيد دور الفرد مقابل التهوين من دور الجماعة .
- لا تهتم المعلمة بتناول موضوعات تسهم في بث الوعي بسلوكيات المواطنة أو تناول موضوعات تدور حول قضايا المجتمع .

كذلك كانت الملاحظة الواقعية متمثلة فيما يلي :-

١- ظهور ثقافات مصاحبة لظاهرة العولمة مثل ثقافة السلام ، ثقافة المعلوماتية ، ثقافة الاستهلاك ، ثقافة السيطرة والتبعية ، ثقافة الفردية .

٢- شيوع استخدام المصطلحات الأجنبية في الاستعمالات اليومية وشيوع عدد من السلوكيات غير المقبولة في شريعتنا الإسلامية .

٣- يأتي كل هذا وسط افتقار المجتمعات العربية إلى تربية تستطيع أن تحمى أبناءها – رغم تواجدها – وتحصنهم من مخاطر الانبهار بالثقافة الغربية .

إن كل هذه التصورات والرؤى الفكرية والمؤتمرات والملاحظة الواقعية التي سبقت الإشارة إليها تستدعى أن تدرس في هدوء وروية ، وصولا إلى محتوى علمي يحدد بعض سلوكيات المواطنة التي يجب إكسابها لأطفال الروضة تفاديا لمثالب وأخطار هذه المصاحبات الثقافية لظاهرة العولمة التي سيتم عرضها كما يلي:-

أولاً : المتغيرات الثقافية المصاحبة لظاهرة العولمة

لازم ظهور العولمة مجموعة من الإفرازات في المجالات المختلفة أبرزها ما ارتبط بالثقافة فيما يسمى بالإفرازات بالمصاحبات الثقافية لها ، وتلك التي اتخذت أشكالاً وألواناً عدة وسوف نقتصر على ما يمكن تسميته بما يلي :-

١- ثقافة الاستهلاك:

تعد ثقافة الاستهلاك إحدى الثقافات التي صاحبت ظهور العولمة لتعكس أنماطاً جديدة لدى الأطفال العرب لا تقتصر على الاستهلاك المادي فقط بل استهلاكاً للتكنولوجيا العالية بكل أنواعها، وليت الأمر قد وقف عند هذا الحد بل تعدى ذلك إلى ما يلي :-

- ميل الأطفال إلى الاستهلاك الجاهز للوجبات إما في سيارات أسرهم، أو في محلات Take Away .
- استهلاك منتجات وأدوات أجنبية تحمل رموزاً وأحرفا وكلمات، أو عبارات معينة دون وعى وفهم بمدلول هذه الرموز .
- الإقبال على المنتجات الأجنبية والتي قد يتوافر مثيلها من المنتجات الوطنية؛ أي وجود نقص في الوعي الاستهلاكي لدى الأطفال .
- زيادة الإنفاق على التعليم في المدارس الأجنبية .
- ترك أمر التربية للخادمات والمربيات على أنه نوع من الوجاهة الاجتماعية التي فرضتها ثقافة الاستهلاك رغم ما لهذه التربية من مخاطر على أطفالنا ولا شك أن كل هذه المخاطر بمؤشراتها تقتضي ضرورة وقاية أطفالنا من المخاطر الآنية والمستقبلية التي تشكل العولمة من حين لآخر . وتحقيق هذه الوقاية يتطلب ضرورة تنمية سلوكيات المواطنة لدى أطفالنا ، وعدم المبالغة في إظهار النمط الاستهلاكي خلال الإعلانات التليفزيونية .

٢ـ ثقافة العنف:

صاحب ظهور العولمة كثير من ألوان العنف والجريمة ، وازدادت معدلاتها في مختلف دول العالم المتقدم منها والنامي ، ولم يخل المجتمع العربي من وجود هذه الثقافة ومعاناته منها فالواقع العملي يشير إلى أن ثقافة العنف تتخذ شكلين؛ الأول يعرف بالعنف المادي والذي تروج له وسائل الإعلام من أفلام وأخبار وخلافه .

والشكل الثاني من ثقافة العنف هو العنف الثقافي؛ أي إنكار ثقافة الآخرين وإقصائها ومحوها . ومن أمثلة ثقافة العنف السائدة والتي تضر بأطفالنا صناعة البرمجيات تنتج ألعابا ترفيهية كنوع من التنكولوجيا المتقدمة للصغار ، والتي ترسخ وتمجد العنف بكل أشكاله ينتج عنها كثير من الاضطرابات العصبية والنفسية لدى الأطفال ، وقلة القدرة على التركيز والانتباه في أثناء العملية التعليمية فضلاً عن الاختلال في طرق تعبير الطفل عن رغباته وفى حركاته ، وبما يؤدى إلى إيذاء نفسه نتيجة اختلاط الأمور عليه إضافة إلى ما يمكن تسميته بدوار الحقيقة الاعتبارية الشبيهة بدوار البحر

ونجد أن المناخ الثقافي للأسرة وكذا النظام التعليمي ينبغى أن يساهم وبشكل كبير في إكساب الطفل الكثير من الاتجاهات الإيجابية نحو نفسه ونحو الآخرين، وتربيتهم من أجل المواطنة؛ أي إكسابهم سلوكيات المواطنة الصالحة مثل التعاون ، والولاء ، والانتماء ، وفنيات الحوار ، والنقد وغيرها وبالتالي تقل سلوكيات العنف تدريجيا .

٣ـ ثقافة الفردية والمادية :

الثقافة الفردية هي إحدى الثقافات التي صاحبت ظهور العولمة لتعكس فلسفة المصالح الخاصة ، التي تجعل الأفراد داخل المجتمع ينظرون إلى كياناتهم الخاصة بعيداً عن الكيانات المادية ، وثقافة الأنانية (الفردية) تعكس تنامي ظاهرة حب الذات ، Self-Love وقد بدا شيوع هذه الثقافة داخل الأوساط المختلفة – من دلائل تعكس سيادة اللامبالاة وعدم المسئولية ، والتقصير في أداء الواجبات نحو الآخرين ، والأنانالية تجاه مصالحهم ، والمركزية أو الاستماتة في الدفاع عن مكاسب ذاتية ، مما يؤكد ما أبرزته الدراسات من تنافى ظهور القيم الفردية والسلبية ، وتفاقم القيم الاستهلاكية وتقلص القيم الإنتاجية ، مع ما صاحب ذلك من فكر مادي ، وتقهقر الروابط العاطفية ، وضعف حركة الفرد في محيط القرارات فيما يتعلق بالقضايا الوطنية والقومية والسياسية بالشكل الذي يجعل هذه الثقافة تعبر عن أزمة هوية داخل المجتمع، تتمثل في جعل القضايا خاصة لا قضايا عامة وهى أزمة تثبت تضاؤل إحساس الأفراد بأنهم جزء من كل ، فانزوت فيهم مشاعر الانتماء الجماعي .

وقد أثمرت ثقافة الفردية عن وجود لونين آخرين من الثقافة ، إحدهما ما يمكن تسميته بثقافة الصمت ، وهى ثقافة الغالبية من أفراد المجتمعات . واللون الثاني ما يعرف بثقافة المادة التي تلخص سبل استحواذ الثروة بأي أسلوب وبأقصر طريق كدافع ملح للأمن والأمان ، مع تقديم تبريرات متعددة لمشروعيتها ، وسط شيوع نوع من التسيب في المراقبة والمحاسبة الحقيقية ، بالصورة التي أدت إلى ثمة اضطراب بين القيم الفردية والقيم المجتمعية .

وللثقافة المادية علامات تعرف من زيادة اتجاهات الأفراد للعمل بالخارج وبكافة فئاتهم ومستوياتهم التعليمية وتعرف أيضاً من كثرة المجاملات والمظهرية وسوء استخدام العلاقات الشخصية .

ولا يمكن المواجهة الحقيقية للمصاحبات الثقافية لظاهرة العولمة بدون إحداث تغيير تربوي في المناخ داخل الروضة الذي يجب أن يسوده التعاون والتآلف والجماعية ، وأن يدرك كل طفل أن له دوراً فاعلاً داخل الروضة ، والتأكيد على الحوار والمناقشة.

٤ـ ثقافة التهاون القيمى :

أصاب المفاهيم الإنسانية داخل المجتمعات العربية نوع من التغيرات يعللها الكثيرون بأنها نوع من التكيف العولماتى ؟ لمواكبة أحداثها ومظاهرها وهى إن لم يحسب حسابها يمكن أن تقتلع الأجيال القادمة للأمة من جذورها القيمية الأصلية ، وتصيبها بحالة من الفزع والفوضى ، وهذه التغيرات أوجدت نوعا من الثقافة التهاونية لكل ما هو جديد ونبيل ، تعكس غيابا للبعد الأخلاقي في الثقافات التي صاحبت العولمة ، كما أنها أدت إلى شيوع ظواهر سلبية قبل اهتزاز الأرضية المشتركة في أنماط التفكير ، وفى القيم ، والعلاقات ، والاغتراب ، والانكفاء على الذات ، والانحرافات التي تؤكد ثقافة التهاون القيمى التي يمكن استقراء مشاهدها من داخل الواقع التربوي والتعليمي ذاته ، كذلك اتخاذ مفهوم الكسب السريع مبدأ يحدد تعاملات الأفراد مع بعضهم بعضاً، وهو نوع من المفاهيم يحدد الشكل الجديد للعلاقات الاجتماعية يقوم على وجود استعداد أقل للتضحية في سبيل مكاسب مستقبلية. وأيضاً الفوضى في التربية الأسرية والمتمثل في افتقاد الأطفال للمثل والقدوة أمامهم وتحول الأسرة إلى مصدر اقتصادي ، واهتزاز معيار القيادة داخل الأسرة هل للأم أم للأب ؟ كذلك خلخلة التوازن الاجتماعي بين أفراد الأسرة والغربة التي يعيشها أفراد العائلة الواحدة ، وتنوع مصادر تربية الأطفال، كل هذا له أثره في تصنيف الانتماءات الأسرية والفكرية .

وأن هذه المفاهيم الجديدة وما أحدثته من ظهور ثقافة جديدة تسمى بثقافة التهاون القيمى ما هي إلا محاولات جادة ومستقرة لضرب الطفل العربي في هويته حتى يتم إبعاده عن جذوره التي تحرك فيه عواطفه ، على اعتبار أن مثل هذه الجذور ستمثل عوائق ضد محاولات الدول صانعة العولمة للسيطرة على المجتمعات، فلجأت إلى الفكر والثقافة والتربية المقومات

الأساسية لبناء الهوية للنفاذ من خلالها إلى توجهات أطفالنا وأفكارهم وقيمهم ومعتقداتهم وكانت النتيجة أن أطفال الجيل الحالي فيما عدا قلة قد أصبحوا في ضياع ثقافي فلا هم ينتمون إلى مصادر الثقافة الغربية التي نهلوا منها ، ولا هم قادرون على استيعاب منابع الثقافة العربية الأصلية أمام هذه التأثيرات التربوية الناجمة عن المصاحبات الثقافية للعولمة تبقى بعض التساؤلات : ما الموقف الذي يجب أن تتخذه الدول العربية نحوها ؟ هل يتم الاستسلام لما تفرضه ؟ أم باستطاعتها التعامل معها بكل ما لها من محاسن وما عليها من مساويء ؟ وما هي الأدوات التي تعتمد عليها هذه المواجهة ؟ إن هذه التساؤلات تفرض أن هذه الدول لا تستطيع المواجهة والتعامل بوعي مع معطيات العولمة بغير التربية ، باعتبارها أداة تشكيل وإعداد الإنسان المراد تهيئته للتعامل مع العولمة بإفرازاتها المختلفة ، ولا تتم هذه التهيئة إلا بتضافر كل الجهود في المؤسسات التربوية المسئولة عن تربية الطفل سواء أكانت الأسرة أم النظام التعليمي ، والتي لها أكبر الأثر في تشكيل الوعي بسلوكيات المواطنة لدى الأطفال في صورة سلوكيات تنبع من بيئتهم ، ومواقف تلائم مستوى العمر العقلي لهم وأن يستمر تقديم هذه السلوكيات والخبرات المتعلقة بالمواطنة خلال سنوات التعليم ، فى صورة أناشيد أو قصص أو نماذج أو ندوة يتعلم الأطفال من خلالها الهوية الوطنية والديمقراطية والولاء والانتماء وكلها سلوكيات للمواطنة الصالحة .

ثانياً : سلوكيات المواطنة الصالحة

تهدف عملية تنمية سلوكيات المواطنة الصالحة لدى الطفل العربي إلى مساعدته على استيعاب واقع المجتمع ، وفلسفته ، وأهدافه ، لكي يشب الطفل مواطنا صالحا ليس بينه وبين قيم المجتمع أي تعارض أو صدام . هذا من ناحية .. ومن الناحية الأخرى تهدف عملية تنمية سلوكيات المواطنة الصالحة لتنمية عاطفة المعايشة وروح الانتماء والولاء للوطن وتهيئة عقلية الطفل لكي يكون قادراً على مواجهة الغزو الثقافي والفكري الذي يصل عن طريق البث المباشر من مختلف محطات الإرسال التليفزيوني في العالم خاصة وبقدوم القرن الحادي والعشرين فإنه يحمل لنا المزيد من التقدم العلمي الهائل في ميادين المعرفة المتعددة ، وكذلك التقدم التكنولوجي .

*** مفهوم المواطنة :**

المواطنة citizenship :

هي صفة للطفل الذي يستوطن مجتمعا معينا ، يترتب عليها تمتعه بعضوية المجتمع ، بالصورة التي يمنح بموجبها حرية ممارسة حقوقه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي كفلها المجتمع له ، مقابل الانتماء والولاء لهذا المجتمع شكلا ومضمونا ، وبالصورة التي تزيد من إحساسه بالاهتمام المشترك من أجل رفاهية هذا المجتمع ، والقدرة على العطاء لمزيد من تطوره واستمراره.

كما تعرف من خصائصها في القدرة على اتخاذ قرارات حكيمة ، وتقبل من هم في موقع السلطة ، والاهتمام برفاهية الآخرين ، ومعرفة الحكومة ونظام الحكم ، والاستعداد الفردي لتقبل المسئولية ، والمشاركة في المجتمع ، ومعرفة الأحداث وفحص القضايا الاجتماعية ونقدها ، ثم حب الوطن .

* **مفهوم الوطنية** :

والوطنية **Patriotism.** هي عملية تتولد لدى الأفراد نتيجة شعورهم بالمواطنة التي ينتسبون إليها فإذا ما ترتب عليها عاطفة ووجدان تجاه الوطن ، يكون فيها الحب هو الإحساس الأساسي لهذا الوطن ويصبح الفرد عندها وطنيا . بمعنى أن انتساب الفرد إلى وطن ما ، لا يجعل منه وطنيا، لأن الوطنية أيا كان نوعها (وطنية فطرية ، وطنية بيئية ، وطنية مؤسسيه وطنيه ديمقراطية ،وطنية قومية) لها علامات ودلالات ، تظهر في درجة انتماء الفرد للوطن بما فيه من أرض وشعب وبلد ، ودرجة افتخاره واعتزازه بتراثه وحضارته ، ودرجة التزامه بالحقوق والواجبات بداخله ، ودرجة احترامه للقوانين والمعايير السائدة فيه ، ودرجة التوحد معه والعمل على حمايته والدفاع عنه ، ثم درجة الحرص الموجودة لدى الفرد على تماسك هذا الوطن و استمراريته والعمل على نمائه وتقدمه .

علاقة الهوية بكل من المواطنة والوطنية :

قبل أن نتعرض للعلاقة بين مفهوم الهوية وعلاقتها بكل من مفهومي المواطنة الصالحة والوطنية نعرف أولا مفهوم الهوية .

* **مفهوم الوطنية Identity :**

يعرف مفهوم الهوية كما ورد في **Encyclopedia American** مصطلحاً يشير إلى التساوي والمشابهة والتماثل ، وأنها مشتقة من الـ (هو) وأنها الشيء وعينه . ووحدته وتشخيصه ، وخصوصيته ووجوده المتفرد ، حيث تميز الفرد عن غيره من خلال (الاسم – الجنسية – الحالة العائلية) . وأنه بموجب القوانين يثبت الشخص هويته من خلال بطاقة الهوية **Identity Card** . كما تعكس الشيء نفسه . حيث تشير إلى حقيقة الشخص المتضمنة صفاته الجوهرية ، والتي تميزه عن غيره . وقد شبهها البعض بالبصمة . وهي لا تستخدم لتبيان صفة مشتركة لأنماط الحياة والنشاط ، بل للأحاسيس الذاتية لأي قوم لهم تجارب مشتركة . وتشير هذه الأحاسيس والقيم إلى عناصر ثلاثة هي :

أ- الإحساس بالاستمرارية بين تجارب الأجيال المتتالية للوحدة البشرية .

ب- بالذكريات المشتركة عن بعض الأحداث والشخصيات التي تمثل نقطة تحول لتاريخ جماعي .

ج- الإحساس بوحدة المصير من جانب الجماعة التي تشترك في تلك التجارب.

والهوية نتاج حضارة وثقافة وتاريخ ، تنجم من التفاعل بين الذات والمجتمع ، ذلك أن المجتمع يؤثر على الأفراد في المقام الأول ، بإمدادهم بالموارد التي يؤدون بها الوظائف التنموية الداخلية وهذه الموارد ثقافية في جوهرها ، وتشمل الدين والاقتصاد والسياسة ، وكلها نطاقات لخلق الهوية التي تؤدى إلى التشابه العام ، فى الخصائص والمميزات الجوهرية ، الخصائص ومميزات جوهرية ، حتى وإن وجدت بعض الفوارق الظاهرية السطحية بمعنى أن الهوية تعنى أن يكون للفرد أو للمجتمع ما يميزه عن غيره ، ولديه وعى بماهيته وبالآخرين من حوله. في الوقت الذي تعكس انتماء لبلد معين ، ووجود رمز يجمع عليه أفراد الأمة .

والتربية العربية حين تطالب بإبراز هذه الهوية يجب أن تعكس مجموعة الأسس والركائز التي تتحدد معالمها في إطار الميراث الثقافي والحضاري للمجتمع العربي ، والتي يتحدد في إطارها مفهوم الانتماء كحركة اجتماعية وسياسية ، تبرز معنى الخصوصية والتفرد، وذلك كله بما يؤكد حضَّانة الفكر العربي لمجموعة عناصر القوة والإيجابية في تاريخ المجتمع ، كركائز داعمة لمستويات التنمية المأمولة، ولتعبر عن نفسها في قيم الشخصية العربية فيتضمن هذه الركائز كمنطلقات أساسية في التربية العربية من شأنه أن يبرز الهوية الأصلية للمجتمعات العربية في جناحيها إحساس أفرادها بالمواطنة وإحساسهم بالقومية العربية .

المؤسسات التربوية والمواطنة :

إن الغاية الرئيسة لتربية طفل الروضة هي إعداد الأجيال المتعاقبة من أبناء المجتمع وخاصة الأطفال للاضطلاع بمسئولياتهم كمواطنين صالحين وتنمية سلوكيات المواطنة المستنيرة والواعية في آن معاً، ولذا فتربية الطفل من أجل المواطنة يجب أن تتضمن إكساب الأطفال عدداً من المهارات والميول والاتجاهات والفضائل والولاءات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بممارسة الطفل لأدوار المواطنة. إن الأطفال لا يكتسبون تلك الفضائل والولاءات والسلوكيات إلا من خلال الأسرة ، والنظام التعليمي داخل رياض الأطفال ، وفى الأندية ، وفى وسائل الإعلام ، إلى غير ذلك من الأوساط التربوية وسوف نتناولها بشيء من التفصيل :

أ ـ الأسرة وسلوكيات المواطنة الصالحة :

للأسرة دور هام في تفسير المفاهيم الأساسية للطفل وممارستها ، فالطفل يمارس داخل الأسرة الديمقراطية، والمشاركة بإيجابية في صنع القرار داخل الأسرة ، ومن ناحية أخرى يتعلم واجب الإذعان للسلطة المتمثلة في الأب والأم ، ولكن على الأبوين أن يحذرا من ممارسة الأسلوب الاستبدادي الدكتاتوري في تربية الطفل حتى لا يعانى من القسوة وفقدان الثقة في نفسه مما يؤثر على شخصيته بالسلب .

ويتعلم الطفل داخل الأسرة الحرية ومفهومها فهو يمارس ويتعلم حدودها التي تقف عند حد أمنه وأمن غيره وعدم الاعتداء على حقوق الغير .

وتقوم الأسرة أيضا بتوعية الأطفال ضد أي انحراف وتغرس فيهم العديد من القيم والمثل والمعتقدات .

ويجب أن نوجه الانتباه هنا إلى أن الأسرة هي المؤسسة الأكثر تشعبا وتداخلا والركيزة في عملية التنشئة الشاملة للطفل . ويبرز دور الأسرة من خلال عملية التوجيه الواعي العقلاني كغرس القيم والعادات والمعايير والأخلاق والنظرة إلى الذات والأهل والأقارب، والموقف من المؤسسات الاجتماعية وقضايا المجتمع الحيوية ، والمثل العليا الملزمة. كذلك تتدخل الأسرة من خلال نظام الممنوعات والمحرمات والمحظورات وكلها تكسب طابع الإلزام الواعي لاكتساب الطفل العضوية الاجتماعية والاعتراف به وقبوله وتحدد توجيهاته نحو ذاته والآخرين والعالم .

وتقوم الأسرة كذلك بتغذية الطفل بالتوجيهات الاجتماعية والسياسية والوطنية والثقافية التي تتبناها وتنقلها إلى أبنائها كموقف مطلوب ومرغوب لتحديد الهوية الأسرية . كذلك تقوم الأسرة وخصوصا الأم بمتابعة وضبط صحة الطفل وغذائه وصحته النفسية والتي تتوقف إلى حد كبير على العلاقة داخل الأسرة بين الوالدين من ناحية وبينهما وبين الأبناء من ناحية أخرى.

ويساهم المناخ الثقافي للأسرة في رفع مستوى نمو القدرات المعرفية ومصيرها فمن خلال هذا المناخ الثقافي لدى الأسرة تغرس بذور هذا النشاط لعالم الطفل المعرفي وتوجهه ، وقد يصل إلى خلق حالات التفرد والإبداع بناء على طلاقة ذهنية وحصيلة معرفية ثمينة ، متنوعة ولاشك أن كل هذا يسهم في تفسير المفاهيم المرتبطة بالمواطنة للطفل داخل النطاق الأسرى

فالأسرة تعتبر مساهم طبيعي في تشكيل إما طفل فاعل ومتفاعل خلاق ومبدع ، أو طفل مسيطر عليه العقلية الذهنية الخرافية الانفعالية في التعامل مع المجتمع والعالم وحقائقهما مع تعطيل نموه العقلي .

كذلك تقوم الأسرة بدور هام وحيوي في نقل التعاليم والشعائر والطقوس الدينية والاحتفال بها في مناسبتها وأعيادها وتبنى رموز ومواقف دينية لدلالة هذه التعاليم والتي تساهم في انتمائها لدى الطفل .

الأساليب الأسرية في تنمية سلوكيات المواطنة :

إن مدلول المواطنة لدى الكبار يغاير مدلولها لدى الصغار . فالمواطنة هي العملية التي نتعلم من خلالها الاتجاهات ، والقيم صغاراً ونمارسها كباراً حيث تصبح الصلة بأداء الأدوار في ظل العولمة والمتغيرات الثقافية المصاحبة لها . إذ إن قيم المواطنة هي جزء من الخبرات

الكلية المتعلمة ، وتتحدد بأنها تلك العمليات التي يمر من خلالها الطفل وهو يصوغ نظراته الخاصة للحياة ، وهذه النظرة تتضمن الاتجاهات نحو الأفراد ، والسياسيات والأحداث ، وهى تتكون منذ الطفولة وتنضح من خلال خبرات تقدم من خلال ثلاثة أساليب على الوجه التالي :

- توفير مناخ أسرى عام يتميز بوجود القدوة الصالحة .
- استخدام أسلوب اللعب وتمثيل الأدوار .
- استخدام أسلوب القصص وترديد الأناشيد .

ب ـ النظام التعليمي والمواطنة :

تلعب رياض الأطفال دوراً هاماً باعتبارها إحدى الهيئات التي يتشرب فيها الأطفال في سن مبكرة الأفكار الأولية المبسطة لعقائد الدولة وتوجد دائما علاقة قومية بين رياض الأطفال والنظام السياسي . وتظهر هذه العلاقة من خلال الأناشيد الوطنية التي يتعلمها الأطفال والحكايات التي تصور بطولة الأطفال المتفانين في حب الوطن والزود عنه ، وكثيرا ما تنسج الأناشيد والحكايات حول القادة والأبطال المواطنين الذين تتعلق صورهم على جدران حجرات اللعب في الروضة . فضلا عن احتفال رياض الأطفال بالمناسبات القومية الهامة كأعياد التحرير والنصر التي تترك في نفوس الأطفال آثاراً وذكريات قومية .

وبذلك يمكن القول أن رياض الأطفال تقوم بدور هام وبارز في تنمية سلوكيات المواطنة الصالحة لدى أطفالها من خلال وسائل وعناصر متعددة منها :

المناخ داخل الروضة ، والمحتوى التعليمي ، وأسلوب وأداء المعلمة ، وطرق التدريس ، والأنشطة .

المواطنة في القرآن والسنة :

يؤكد القرآن الكريم ويحث على القيم والفضائل التي من شأنها أن تسمو بحياة الفرد والمجتمع ، فالدين يقوم سلوكيات المواطنة ويؤكد على القيم التي تدعو إليه .

وإذا اعتبرنا المواطنة قيمة جوهرية ، بل ونسق قيمي ، فمن أهم القيم التي يتضمنها : التعاون ، والجماعية ، كما في قوله تعالى " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب "(المائدة ، ٢) .

كما تؤكد سلوكيات المواطنة على الشورى ، حيث احترام الرأي والرأي الآخر ، فهناك العديد من الآيات الكريمة التي تحث على ذلك ، ومنها قوله تعالى : " والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون " (الشورى ، ٣٨)

وتركز المواطنة في واحدة من أهم أبعادها على الالتزام ، كما في قوله تعالى : "وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (المائدة، ٤٨)

ويحثنا القرآن الكريم على الاستقامة ، ويبشر أهل الاستقامة بالجنة ، كما في قوله تعالى:"الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا و ابشروا بالجنة التي كنتم توعدون " (فصلت ، ٣٠)

ويحثنا القرآن الكريم على الأخوة ، وإصلاح ذات البين من أجل الترابط والتماسك ويكفينا في ذلك قوله تعالى : " إنما المؤمنون اخوة ، فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون " (الحجرات ،١٠) ، وقوله تعالى : " فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين " (الأنفال ،١) .

وكما أكد القرآن الكريم على الأخوة والتعاون ، دعا إلى الإيثار لما له من أهمية في ترابط المجتمع وتماسكه " قال تعالى : " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون "(الحشر ،٩) .

ويحث القرآن الكريم على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لاستقامة حياة الأفراد وتماسكهم ، وقوة المجتمع ووحدته وتقدمه ، كما في قوله تعالى :" ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون " (آل عمران ، ١٠٤). وقوله تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " (آل عمران ، ١١٠) .

وأما عن السنة النبوية الشريفة فلنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في دعوته لحب الوطن ، حيث خاطب الرسول الكريم مكة المكرمة بحب جارف ، رغم قسوة أهلها عليه ، حين أمره الله تعالى بالهجرة إلى المدينة – بحزن وأسى – قائلا: " والله إنك أحب بلاد الله إلى الله تعالى ، وأحب بلاد الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت " . ويوم عاد الرسول ﷺ إلى مكة فاتحا هابه أهل مكة وقال ﷺ" يا معشر قريش ، ماذا ترون أنى فاعل بكم ، قالوا خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال فإني أقول لكم كما قال يوسف لأخوته ، لا تثريب عليكم اليوم ، أذهبوا فأنتم الطلقاء ". وهكذا يكون حب الوطن ، حب عطاء وفاء و تسامح وإيثار من أجل تماسك وترابط وقوة أفراد المجتمع .

وقد ورد ذكر مصر في القرآن الكريم أكثر من مرة ، وقد وصفها الله تعالى بأنها دار الخير والسلام والأمان ، وهي مهد الحضارات منذ آلاف السنين ، حيث الحضارة الفرعونية ، ورائدة في الحضارة الإسلامية ، ولها عظيم المكانة بين الدول ، ونجمها السامي في مجالات رائدة – علمية – وأدبية – وتراث عريق يشهد على أصالة ومكانة مصر ودورها الرائد على مر السنين متأثراً ومؤثرا في كل الحضارات.